١

التوراة في ميزان التوثيق

أ.د / حسين محمد عبد المطلب

عميد الكلية

مدخل

الحمد لله ... والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه .

وبعد :

فإن التوراة في حقيقة أمرها كتاب سماوي أنزله الله تعالي علي موسي عليه السلام ، فيه هداية ونور لبني إسرائيل قال تعالي : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ.... } (١)

وأن هذا الكتاب الذي أنزله الله تعالي علي موسي عليه السلام هو كتاب واحد أي توراة واحدة ، وليس نسخاً متعددة منها ، كما هو واضح في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها قوله تعالي : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ } (٢) ، وقال تعالي : { نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ } (٣) وقال تعالي { وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ } (٤)

وكذلك يوضح لنا القرآن الكريم إن هذا الكتاب الذي أنزله الله تعالي علي موسي عليه السلام قد تعرض لكثير من التحريفات والتبديلات – كما سنري فيما بعد إن شاء الله تعالي – التي ضيعت معالمه الرئيسة فقال : { أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } (٥)

وقال تعالي { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا } (٦) .

وأن هذه التحريفات والتبديلات أصبحت من الكثافة والفخامة بحيث تشكل بذاتها مصادر وضعية بشرية ملموسة أضيفت إلي النص الإلهي الأصلي الموصي به مشوهة تماما أبعدته عن صورته الأصلية الموصي به .

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٤٤ .

(٢) سورة هود من الآية: ١١٠

(٣) سورة آل عمران : من الآية ٢-٣ .

(٤) سورة المائدة: من الآية ٤٣ .

(٥) سورة البقرة من الآية : ٧٥ .

(٦) سورة المائدة من الآية: ٤١ .

والذي وعاني لكتابة هذا البحث هو ادعاء علماء اليهود والنصاري بأن التوراة الحالية هي كتاب موحي من عند الله تعالي المنزل علي سيدنا موسي عليه السلام .

لذا أردت بهذا البحث الوقوف علي هذا الموضوع ، ووضعه في ميزان التوثيق دون تحيز أو تعصب أو هوي ، بل بمنهجية علمية وموضوعية هادفة ، ومن ثم جاء هذا البحث تحت عنوان (التوراة في ميزان التوثيق) .

وقد اشتمل علي تمهيد وثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بالتوراة .

المبحث الثاني : مراحل التوراة .

المبحث الثالث : هل التوراة الحالية كلمة الله ؟

التمهيد

أهم القواعد والشروط لثبوت الكتاب السماوي

إن علماء أهل الكتاب من اليهود والنصاري يقولون : إن التوراة الحالية كتاب موحي به من عند الله تعالي يقول القس مرقس حبيب في كتاب استحالة تحريف الكتاب المقدس :

"الكتاب المقدس موضوعه واحد في كل أسفاره سواء في العهد القديم أو الجديد ، وهو الخلاص المعلن من السماء والمقدم للبشرية كلها .

وقد اختلف كاتبو الأسفار واختلفت ظروف كل منهم وأزمنة كتاباتهم لكنك تجد أيها القارئ العزيز أن الكتاب المقدس منزه عن أي تناقضات لأن كل الكتاب المقدس هو موحي به من الله "(١)

يفهم من هذه العبارة أن القس هذا يناقض نفسه حيث يزعم أن الكتاب المقدس موحي به من عند الله في حين أنه يعترف بأن الأسفار قد كتبها كتاب اختلفت ظروف كل منهم واختلفت أيضا أزمنة كل منهم أي أن هذا الكتاب المقدس عبارة عن كتاب ألفه عدد من الكتاب من عند أنفسهم لا من عند الله اختلفت ظروفهم وأزمنتهم لذا جاء هذا الكتاب مليئا بالتناقضات والتبديلات لا كما يزعم بأن الكتاب المقدس منزه عن أي تناقضات .

وبهذا فإن زعمهم بأن التوراة الحالية كتاب موحي به من الله تعالي يفتقر الدليل الواضح والبرهان الساطع وهو أن أي كتاب سماوي لا بد له من أمرين :

الأول : ثبوت ذلك الكتاب إلي النبي المنسوب إليه وفق الشروط والقواعد التي وضعها العلماء في قبول الرواية ونقل الأخبار

الثاني : خلوه من التعارض والتناقض ، لأن ما كان من عند الله تعالي يؤيد بعضه بعضاً بتضافر معانيه وتناسقها { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }(٢) .

وقد وضع الباحثون قواعد وضوابط وشروطاً لقبول الكتاب السماوي والتسليم به ، فإذا ثبت بطلان الكتاب أو تجريفه لزم من ذلك فساد عقيدة من يؤمن به ، ولا يكفي مجرد الإدعاء بل البينة علي المدعي ، وأهم هذه الشروط القواعد مايلي :

- أن يكون النبي الذي ينسب الكتاب إليه ، ويدعي نزوله عليه قد علم صدقه يقينا بواسطة دلائل النبوة المعروفة .
- أن يذكر ذلك النبي صراحة أن الله تعالي أوحي به إليه ، ويدعم ذلك بالبينات الثابتة من معجزات وغيرها ، ثم يثبت ذلك الإدعاء بالخبر المتواتر ، أو بالكتاب نفسه إن كان معجزاً .
- أن تكون نسبة الكتاب إلي النبي ثابتة بالطريق القطعي وذلك بأن يثبت أولا أنه ضبط من قبل ذلك النبي سماعاً ، ثم تنقاه الأحلاف عن الأسلاف جيلاً بعد جيل من غير أية مظنة للانتحال أو التحريف أو التبديل ، وأساس ذلك التواتر .
- أن لا يكون ذلك الكتاب متناقضا أو مضطربا يهدم بعضه بعضاً ، فلا تتعارض تعاليمه ولا تتناقض أخباره أو تخالف الحقائق والوقائع ، بل يكون كل جزء منه مكملاً للآخر ومتمما له ، لأن ما يكون من عند الله تعالي لا

---

(١) ص استحالة تحريف الكتاب المقدس – للمهندس وهيب عزيز خليل – الطبعة الثانية قاصد خير القاهرة .

(٢) سورة النساء من الآية : ٨٢ .

يختلف ولا يفترق ولا يتناقض ، ولا يخالف الحقائق الثابتة (١)قال تعالي : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} (٢)

ونحن علي ضوء هذه القواعد ، وتلك الشروط سنستعرض التوراة الحالية لنرى مدي توثيقها ونسبتها إلي الوحي السماوي ، ولن أفتئت علي القوم بقول لا يقبلونه ، أو أبهتهم بشيء لا يعرفونه أولا يفقهونه ، بل سأذكر ما يقرون به ويعترفون ، مما نطقت به أسفار التوراة أو أقر بصحته علماؤهم ، بعيداً عن الأغراض الدفاعية بما لها من سلبيات ، وما ينتج عنها من تعصب علمي وديني .

ثم انتقلت بعد ذلك في الفكر اليهودي إلي مسميات أخري وهي علي النحو التالي :

---

(١) انظر ص ٩٠-٩١ محاضرات في النصرانية للأمام محمد أبو زهرة – دار الفكر العربي – الطبعة الثالثة عام : ١٩٦٦م.وانظر ج١ ص١٠٩ وما بعدها إظهار الحق لرحمت الله تعالي الهندي تحقيق د / محمد ملكاوي دار الحديث القاهرة . الطبعة الثالثة عام : ١٩٩٤م.

(٢) سورة النساء آية : ٨٢ .

المبحث الأول

التعريف بالتوراة

معني كلمة توراة : هي كلمة عبرانية ومعناها الشريعة أو الناموس(١). وقد يطلق ذلك اللفظ علي مجموع كتب العتيق مجازاً (٢)

وهي في اصطلاح أهل الكتاب : الأسفار الخمسة التي تلقاها موسي عليه السلام من الله تعالي في جبل طور سيناء بعد خروج اليهود من مصر ، وتسمي هذه الأسفار الخمسة باليونانية " بانتا تيكوس " أي الكتاب أو الأسفار الخمسة .

ويطلقون عليها بالفرنسية (البانتاتيك) وهي تعني مؤلفا مكونا من خمسة أجزاء ، وكان اليهود يسمونها خمسة اخماس التوراة ، ولفظة ((توراة)) بالعبرية تعني الشريعة أو الناموس أو التعليم – كما تقدم ، ولم تكن تعرف بهذا الاسم منذ القدم شأنها شأن الأسفار الخمسة التي يتكون منها إذا لم يعرف قديما كل سفر منها باسم خاص ، إلا أن اليهود والمسيحيين درجوا في عصور مختلفة علي تسميتها بأسماء خاصة ، فهي التوراة أو الناموس .

ولقد أطلق اليهود – قديما – علي هذه الأسفار أسماء خاصة لا تشير إلي محتوياتها – عامة – بل هي عبارة عن الألفاظ التي يبدأ بها كل سفر من هذه الأسفار الخمسة :

فالسفر الأول : يبدأ بلفظ (براشيت) في (البدء) .

والسفر الثاني : يبدأ بلفظ (شموت) أسماء .

والسفر الثالث : يبدأ بلفظ (ويقرأ) ودعا .

والسفر الرابع : يبدأ بلفظ (بمدبر) برية .

والسفر الخامس : يبدأ بلفظ (بريم) كلمات .

ثم جاءت الترجمة السبعينية فأطلقت أسماء أخري علي هذه الأسفار أخذتها من أبرز محتوياتها ، وعن الترجمة السبعينية اليونانية إلي اللاتينية ، ثم إلي كثير من اللغات الأخرى (٣).

السفر الأول : سفر التكوين :

ويسمي هذا السفر (بالعبرانية) (براشيت) أي في البدء نسبة إلي الكلمة الأولي التي يبتدأ بها ، وفي اليونانية واللاتينية (جنيزيز) أي خلق أو تكوين ، وبهذه التسمية يعرف في الترجمة العربية ، وسمي بذلك لأنه يتحدث عن بدء الخليقة أو لأن هذه المسائل من أهم المسائل التي عالجها .

ويحتوي هذا السفر علي خمسين إصحاحا ، تتضمن تاريخ الكون والبشرية منذ بدء الخلق إلي استقرار يعقوب وأولاده في مصر مع تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام بن نوح وهو الذي انحدر منه بنو إسرائيل ، وخاصة إبراهيم وإسحاق ويوسف والأسباط ثم إجمال فيما عدا ذلك ، وبشيء من الدراسة التحليلية فإنه يمكننا أن نقسم الإصحاحات الخمسين إلي أربعة رئيسة وذلك فيما يلي :

---

(١) صـ ١٨٧ الأديان والإنسان – خليل مطران دار الفكر والفن عام ١٩٧٦م.

(٢) انظر ج ١ ص ٩٩ إظهار الحق تحقيق د / محمد مكاوي .

(٣) التوراة الهيروغليفية د / فؤاد حسنين علي .

أ- الإصحاحات من(١-٥) تتضمن حديثاً عن بدء الخليقة ، وتكوين الكون بخلق السماوات والأرض والليل والنهار والجبال إلي اخر ذلك كله مع حديث مفصل عن خلق الإنسان والسقوط وتاريخ البشرية قبل الطوفان ، كما أن هذا القسم من السفر يتضمن الميثاق الأول بين الله والبشر .

ب – الإصحاحات من (٦- ١١) يتضمن هذا القسم حديثا عن الطوفان والميثاق الثاني المعطي لنوح عليه السلام وتعمير الأرض ثانية بعد الطوفان ، وتشتيت الجنس البشري وتبلبل الألسنة .

ج – الإصحاحات من (١٢- ٢٨) وفي هذا القسم سرد تاريخي وتتبع واضح لسلالة سام بن نوح حتي تارح والد إبراهيم (كما يقول سفر التكوين) ثم تركيز باهتمام وتفصيل علي قصة إبراهيم عليه السلام وتتبع دقيق لحياته ودعوته وهجراته وأولاده إسماعيل وإسحاق ثم يعقوب إلي نزوحه إلي بلدان آرام كل ذلك نجده في هذا القسم من سفر التكوين ، معروضا بطريقة واضحة وأسلوب جيد ، لكن مع اختلاف بين معطيات هذا السفر وبين ماجاء في القرآن الكريم خاصة فيما يتعلق بقصص الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل ولوط عليه السلام .

د – الإصحاحات من (٢٩- ٥٠) هذه الإصحاحات تحكي لنا قصص يعقوب عليه السلام والأسباط وما حدث ليوسف عليه السلام مع إخوته ، وكيف هاجر بنو إسرائيل إلي مصر مع أبيهم ، وعن حياتهم في مصر أيام يوسف عليه السلام ، وانتهي هذا السفر بالحديث عن وفاة يوسف عليه السلام .

السفر الثاني : سفر الخروج :

ويسمي هذا السفر بالعمرانية (له شموت) أي أسماء ، وفي اليونانية واللاتينية (اكسودوس) أي خروج وذلك لتناوله قصة خروج بني إسرائيل من مصر علي يد موسي عليه السلام (١)

ويحتوي هذا السفر علي أربعين إصحاحا يحكي فيها قصة بني إسرائيل بعد يوسف عليه السلام وما عانوه من الفراعنة ، وظهور موسي عليه السلام وخروجه بهم من مصر إلي سيناء ، وأحداث فترة التيه التي قضاها بنو إسرائيل في صحراء سيناء عقوبة وهي أربعون عاماً كما أخبر القرآن الكريم بذلك في قوله تعالي :{ قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض }

وفي هذا السفر أيضاً طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات وفيه أيضاً الوصايا العشر التي أعطاها الله لموسي عليه السلام ، وبه كذلك وصف خيمة الاجتماع وتابوت العهد وما حدث من بني إسرائيل فيه غيبة موسي عليه السلام ، وبشيء من الدراسة والبحث فإنه يمكننا أن نقسم إصحاحاته الأربعين إلي ثلاثة فصول رئيسة وهي كما يلي :

أ- الإصحاحات من (١-١٨) يغلب علي هذا القسم الجانب التاريخي فهو يتضمن سرد ما حدث لبني إسرائيل في مصر – بعد يوسف عليه السلام – ثم ميلاد موسي عليه السلام وحياته الأولي وما مر بها من أحداث ثم هروبه من مصر ودعوة الله له بالعودة لإنقاذ بني إسرائيل ، وعبور بني إسرائيل للبحر الأحمر ، وأهم الحوادث التي وقعت لهم في سيناء ، وأهمها (التيه) .

ب- الإصحاحات من (١٩-٢٤) أما وقد خرج بنو إسرائيل من مصر واستقروا في سيناء مؤقتا وصار لهم مجتمع خاص ، فلا بد من نظام تشريعي يحكم أمر حياتهم ، فكانت الشريعة ، وكان الميثاق والعهد الموسوي

ج – الإصحاحات من (٢٥-٤٠) هذا القسم الأخير من سفر الخروج هو استمرار لما سبق ، إلا أنه يهتم بالجوانب التنظيمية ، وبخاصة ما يتصل منها بالطقوس الدينية ، فهو يتضمن الأوامر بإقامة خيمة الاجتماع ، وتكريس أسرة هارون للكهنوت ، وتعيين ملابسهم ، ويسجل هذا الجانب من السفر تلك الخطيئة الشنيعة التي ارتكبها بنو

---

(١) ص ٣٠ المرجع السابق وانظر ص ٢٤١ اليهودية د / أحمد شلبي .

إسرائيل حين صنعوا عجلاً(١)من ذهب وحلي كانوا قد سرقوه من المصريين أثناء خروجهم وعبادتهم لهذا العجل ، والقصاص الذي حل بهم بسبب ذلك .

السفر الثالث : سفر اللاويين :

اسم هذا السفر في العبرية (ويقرأ) وفي اليونانية واللاتينية (لفيتيكوس) أي لاويين نسبة إلي أسرة لاوي بني يعقوب عليه السلام ، ولاوي ينطق في بعض اللغات (ليفي) (٢).

وكان اللاويون سدنة الهيكل والمشرفين علي شئون المذبح والأضاحي والقرابين ، والقوامين علي الشريعة اليهودية ، ومن ثم نسب إليهم هذا السفر "(٣) ، وهذا السفر يحتوي علي سبعة وعشرين إصحاحا ، ويمكن تقسيمه إلي خمسة فصول رئيسة كما يلي :ـ

أ ـ الإصحاحات من (١ – ٧) تعالج الشرائع التي تتعلق بشئون الذبائح إجمالا .

ب– الإصحاحات من (٨–١٠) تكريس هارون وأبنائه الأربعة ، وعقاب اثنين منهم هما (ناداب) ،(وأبيهو) لتقديمهما بخورا دون أن يؤمروا بذلك .

ج – الإصحاحات من (١١–١٦) تتحدث عن الشرائع المتعلقة بالأطعمة الحرام منها والحلال ، والنجس منها والطاهر ، وكذلك الطهارة الشخصية والبرص والطقوس المتعلقة بيوم الكفارة .

د– الإصحاحات من (١٧–٩: ٢٤) تتحدث عن الشرائع الخاصة بذبح الحيوان والزواج ، وبيان الزيجات المحرمة والفواحش والأزمنة والأعياد .

هـ – الإصحاحات من (٢٤– ١٠–٢٧) هذا الجانب الأخير من سفر اللويين يتحدث عن حادثة مجدف وعقابه ألسنة السبتية ، وسنة اليوبيل ، وبعض الوعود والإنذارات النبوية – تشريعات خاصة بالنذور والزكاة والعشور والتقدمات ليهوه إله بني إسرائيل .

السفر الرابع :- سفر العدد :

يسمي هذا السفر في العبرية (بمدبر) وفي اليونانية واللاتينية (نومري) أي عدد ،(١) وسمي بذلك لأنه حافل بالعدد والتقسيم لأسباط بني إسرائيل ، وبه ترتيب منازلهم حسب أسباطهم ، وإحصاء للذكور منهم ، وهو بجانب هذا الإحصاء يحتوي علي سيرة بني إسرائيل في برية سيناء ومابعدها .

والقارئ لهذا السفر يشعر في كثير من محتوياته بأنه استمرار لما ذكر في سفر اللاويين إذ فيه كثير من التنظيمات والتعاليم الطقسية والكهنوتية والاجتماعية والمدنية ، وبه كذلك حديث عن حروب بني إسرائيل ضد المدنيين .

وفي الإصحاح الثاني عشر من هذا السفر ثورة علي زواج موسي عليه السلام من امرأة كوشية ، وأن الرب عاقبهما علي ذلك حيث أصيبت مريم بالبرص يقول هذا السفر ما نصه :

---

(١).يزعم كاتب سفر الخروج أن هارون عليه السلام هو الذي صنع العجل لبني اسرائيل ، وهذا كذب وبهتان علي نبي الله هارون عليه السلام ، والحق أن الذي صنعه هو السامري كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم في سورة طه من الأية : ٨٧حتي : ٩٧.

(٢) صـ ٥٣ نقد التوراة د / أحمد حجازي السقا مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) صـ ٨٦ اليهودية في أسفارها المقدسة وموقف الإسلام منها د/ إبراهيم محمد إبراهيم مطبعة الإمانة – الطبعة الأولي عام ١٩٨٦م.

(٤) صـ ٣٧ نقد التوراة .

وتكلمت مريم وهارون علي موسي بسبب المرأة الكوشية التي أتخذها لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية ، فقال هل كلم الرب موسي وحده ، ألم يكلمنا نحن أيضاً ، فسمع الرب ، فحمي غضب الرب عليهما ومضي ، فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة ، إذا مريم برصاء كالثلج "(١) .

ويعلق الأستاذ / محمد عزت دروزة علي هذا التذمر بقوله : وهكذا ألم ينج أخو موسي وأخته من خلق التذمر والحسد والأنانية "(٢) .

ونحن نتساءل : لماذا لم يصب هارون بالبرص كما أصيبت مريم ؟

ألم يتكلم هارون كما تكلمت مريم علي موسي ؟ أم ماذا ؟

ويحكي الإصحاح السادس عشر قصة ثورة قادها شخص من اللاويين اسمه (قورح) ضد موسي وهارون عليه السلام ، وفي هذه الثورة صاح قورح قائلاً (كفاكما إن كل الجماعة بأسرها مقدسة ، وفي وسطها الرب ، فما بالكما ترتفعان علي جماعة الرب ، ويستمر هذا الإصحاح في حكاية هذا التمرد ضد موسي وهارون لنقرأ علي لسان أولئك المتردين وهم يرفضون أوامر موسي ويخاطبونه في جرأة وسوء أدب ما نصه :

أقليل أنك أصعدتنا من أرض تفيض لبنا وعسلا ، لتميتنا في البرية حتي تترأس علينا ترساً كذلك لم يأت بنا إلي أرض تفيض لبنا وعسلا ولا أعطيتنا نصيب حقول وكروم هل تقلع أعين هؤلاء القوم . لا نصعد .(٣)

وهذا السفر يتضمن ستة وثلاثين إصحاحا ، يمكن بشيء من الدراسة والتحليل تقسيمه إلي ثلاثة فصول رئيسية علي النحو التالي :

أ —الإصحاحات من (١-١٤) حديث عن ارتحال بني إسرائيل من سيناء إلي حدود أرض كنعان طلب موسي من (يثرون) أن يسير معهم وعن إنزال المن والسلوى و عصيان هارون ومريم — إصابة مريم بالبرص — إرسال الجواسيس ليتجسسوا ما جاء به من أخبار — تذمر الشعب أندحارهم أمام الكنعانيين .

ب— الإصحاحات من (١٥-١٩) حديث عن فتنه قورح وجماعته ، وعن حوادث السنة الأخيرة .

ج — الإصحاحات من (٢٠-٣٦) هذا الأخير يتناول — موت مريم — موسي وهارون — الالتفاف حول أدوم — التغلب علي الأموريين — خطيئة بعل — شريعة الإرث — التقدمات والنذور — إجمال الرحلات — مدن اللاويين .

ولا غرو أن السفر يعطينا صورة واضحة جلية عن أخلاق اليهود وما فيها من غدر وخيانة واجتراء علي الله تعالي ورسوليه موسي وهارون عليهما السلام ، وعن نفسيتهم المعقدة التي تنطوي علي الحقد بأبشع صورة ، والشر بأقصى أشكاله ، وأوضح مافي هذه النفسية ذلك الجبن الفاضح المتمثل في خوفهم من دخول الأرض المقدسة ، وقولهم لموسي عليه السلام كما حكي القرآن الكريم ذلك { فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} (٤) .

السفر الخامس : سفر التثنية :

يسمي هذا السفر في العبرية (هو بريم) أي هذا هو الكلام ، واسمه في اليونانية واللاتينية (ذويترونوميوم) ويسمي أيضا سفر تثنية الاشتراع ، ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم "(٥) .

---

(١) إصحاح ١٢ : ١-١٠ .

(٢) ج ١ صـ ٩٩ تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم محمد عزة دروزة — بيروت عام : ١٩٦٩م.

(٣) إصحاح ١٦ : ١٣-١٤ .

(٤) من سورة المائدة من الآية : ٢٤ .

(٥) انظر صـ ٤٠ نقد التوراة .

وفيه تشريعات لم تذكر في الأسفار الأربعة السابقة ، وتشريعات سبق ذكرها ، وفيه نبوءات عن النبي الخاتم محمد ﷺ .

وهذا السفر يتألف – في معظمه – من ثلاث خطب ألقاها موسي عليه السلام في أواخر حياته – علي بني إسرائيل – ولا سيما أولئك الذين ولدوا في البرية بعد الخروج ، والذين لم يسمعوا الإعلان ، ويتضمن هذا السفر أربعة وثلاثين إصحاحا يمكن تقسيمها إلي أربعة فصول رئيسة كما يلي :

أ- الإصحاحات من (١-٤) يحتوي هذا الجانب الخطاب الأول المنسوب إلي موسي عليه السلام والذي تلقاه علي بني إسرائيل ، يذكرهم فيه بنعمة الله عليهم إذ نجاهم من آل فرعون وأنقذهم من العبودية وحفظهم في البرية رحمة بهم ، ولكنهم قابلوا ذلك بالجحود والنكران .

ب- الإصحاحات من (٥-٢٦) يتضمن هذا الجانب عرضاً عملياً للشريعة كلها يبتدئ بالوصايا العشر ، حيث يبتدئ الإصحاح الخامس بهذه الفقرة (ودعا موسي جميع إسرائيل وقال لهم اسمع يا إسرائيل الفرائض والأحكام التي أتكلم بها في مسامعكم واحترزوا لتعملوها)(١) وتستمر الإصحاحات في متابعة التشديد علي تنفيذ القوانين الإلهية الخاصة بهم ، والتي تندرج تحت فئات ثلاث :

الأول : شرائع أساسية تتعلق بالدين .

الثانية : شرائع تتعلق بالإدارة القضائية .

الثالثة : شرائع تتعلق بالأحوال الشخصية والجوانب الاجتماعية .

ج – الإصحاحات من (٢٧-٣٠) في هذا الجزء نري تجديد الميثاق ، وأن البركات تنزل علي الذي يحافظ علي الشريعة ، وأن اللعنات تنزل علي الذي يهمل شريعة الرب .

د- الإصحاحات من (٣١-٣٤) هذا الجزء فيه رد مقنع وحجة دامغة علي علماء اللاهوت من اليهود والنصارى علي السواء من أن هذا السفر لم يكن كاتبه موسي عليه السلام ، ولا سيما في نهايته حيث جاء هذا النص : (فمات هناك موسي عبد الرب في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلي هذا اليوم . وكان موسي ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته .(٢)

إذن :

هذا النص يوضح لنا أن موسي عليه السلام لم يكن – بأي حال من الأحوال –قائله وكاتبه ؟ فمن يأتري كاتبه ؟

وهذا ما يعترف به علماؤهم وباحثوهم منهم القس سيكل سيل حيث يقول عن هذا السفر إنه (قد أحدث بين العلماء – أي علماء اليهود والنصارى – اختلافاً في الآراء بشأن مؤلفه ، فنسبه بعضهم إلي إرمياء ، وبعضهم إلي كاتب أو كتاب مجهولين عاشوا في مصر زمن منسي .(٣) .

---

(١) إصحاح ٥ : ١-٢ .

(٢) إصحاح ٣٤ : ٥-٧ .

(٣) ج٢ ص ٨٢ المرشد إلي الكتاب المقدس للقس ميكل بيل – الطبعة الثانية عام :١٩٥٨م.

المبحث الثاني

لمحة تاريخية عن التوراة الحالية والأدوار التي مرت بها

اقتضت حكمة الله تعالي أنه لم يتكفل بحفظ كتاب سماوي إلا القرآن الكريم الذي تعهد بحفظه قال تعالي { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (١) وقد وكل – سبحانه وتعالي – حفظ كل كتاب من الكتب السابقة إلي علماء الأمة التي أنزلها عليها قال تعالي : { إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ } (٢) .

لذا كانت تلك الكتب عرضة للتحريف والضياع ، ولاسيما إذا مرت تلك الآمة بنكبات واضطهادات ، لوحقت فيها العلماء فقتلت ، وتتبعت الكتب فأتلفت ، وهذا ماحدث للتوراة التي أنزلها الله تعالي علي سيدنا موسي عليه السلام حيث إنها مرت في تدوينها بأربع مراحل :

المرحلة الأولي : (كيفية إيحاء التوراة لموسي علية السلام) :

إن المتتبع لأسفار التوراة يجد بعض النصوص تذكر أن موسي عليه السلام تلقي التوراة في أول الأمر مشافهة من الله تعالي ، ثم بعد ذلك دونها كتابة بعد أن قرأها علي بني إسرائيل وأخذ الميثاق منهم علي اتباعها والعمل به يقول سفر الخروج ما نصه : " فجاء موسي وحدث الشعب بجميع أقوال الرب وجميع الإحكام ، فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل . فكتب موسي جميع أقوال الرب .....)(٣) .

المرحلة الثانية : (كتابة موسي عليه السلام للتوراة) :

عرفنا فيما تقدم أن الوحي الإلهي حدث لموسي عليه السلام مشافهة من قبل الله تعالي ، ثم قرأها موسي عليه السلام علي بني إسرائيل وأخذ العهد والميثاق عليهم بأن يعملوا بها دونها بعد ذلك بخط يده ثم سلمها مكتوبة ومدونة للكهنة من بني لاوي " ولجميع شيوخ بني إسرائيل وأمرهم بقراءتها في نهاية كل سبع سنوات – لا أدري لماذا في نهاية كل سبع سنوات بالذات وأراد موسي عليه السلام أن يأخذ عليهم من أنفسهم ، وأمرهم بوضع كتاب التوراة بجانب تابوت عهد الرب ، يوضح لنا سفر التثنية سر هذا النوع من التحوط وهو أن موسي عليه السلام يعلم مدي فساد وزيغان قومه فيقول : " .. وكتب موسي هذه التوراة للكهنة بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب والجميع شيوخ إسرائيل وأمرهم موسي قائلا في نهاية السبع وسلمها سينين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال ، حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب إلهك في المكان الذي يختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم ... ثم يقول هذا السفر أيضاً " ... عندما كمل موسي كتابة هذه التوراة أمام كل إسرائيل إلي تمامها أمر موسي اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب إليكم ليكون هناك شاهداً عليكم لأني أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة هوذا وأنا بعد حتي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي ،اجمعوا إلي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض

---

(١) سورة الحجر أية : ٩ .

(٢) من سورة المائدة أية : ٤٣ .

(٣) إصحاح : ١٥ ، ٣:٨ . إصحاح ٣١: ٩-١١ ، ٢٤-٣٠

لأني عارف بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصبكم الشر في آخر الأيام ، لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتي تغيظوه بأعمال يديكم ، فنطق موسي في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلي تمامه .

المرحلة الثالثة : يشوع هو كاتب التوراة :

لقد توقع موسي عليه السلام من قومه الفساد والزيغ عن الطريق الحق ، وفعلا قد حدث ما توقعه موسي عليه السلام من بني إسرائيل حيث لم تحفظ التوراة بجانب التوراة ، ولم تقرأ كل سبع سنوات كما أوصاهم بذلك ، والناظر في سفر يشوع يجد أنه يخبر أن يشوع قد قام بعملية تدوين ونسخ للتوراة التي تركت مع اللاويين علي حجارة غير الحجارة التي تركها موسي عليه السلام وقام بعملية النسخ والتدوين هذه ، وهذا بالقطع اقرار من السفر بأول عملية حذف وإضافة في التوراة يقول سفر التثنية وما نصه : " حينئذ بني يشوع مذبحا للرب إله إسرائيل في جبل عيبال كما أمر موسي عبد الرب بني إسرائيل ... وكتب هناك علي الحجارة نسخة توراة موسي التي كتبها أمام بني إسرائيل ..."(١)

والمتفحص في هذا النص يجد أن يشوع لم يخبرنا ماذا حدث للنسخة الحجرية التي تركها موسي للكهنة ، بعد أن كتب هو نسخة عن توراة موسي هل أبقوها معهم ؟

وهل كانت تصلح للقراءة وللأخذ منها ؟ وإذا كانت موجودة فلم كانت نسخة يشوع ؟ وعلي فرض بقاء النسختين معا فأيهما كان عند بني إسرائيل أكثر قداسة ؟

النسخة التي تركها موسي عليه السلام أم التي نسخها يشوع عن نسخة موسي عليه السلام ؟

وإذا كان الأمر يتعلق بمجرد نسخ للتداول ، فلم اقتصر علي نسخة واحدة لم لم ينسخوا منها عشرات النسخ للتداول ولذ يوع النص الذي تركه موسي عليه السلام ؟

ضياع التوراة الحقيقية :

إن القارئ لسفر صموئيل الأول (٢) يلاحظ أن التوراة الأصلية التي كانت بجانب التابوت ضاعت ، وسبب ضياعها : أن معركة حدثت بين بني إسرائيل والفلسطينيين علي حد ما يزعم هذا السفر وهو أن الإسرائيليين نقلوا التابوت من مكانه في (شيلون إلي ميدان القتال علي أمل أنه سيجلب لهم نصراً علي أعدائهم ؛ لكن الدائرة تدور عليهم ويستولي الفلسطينيون علي التابوت ويصبح في حوزتهم ، وهكذا ظل التابوت ينتقل بين بلاد الفلسطينيين والإسرائيليين إلي أن استقر به المطاف في أورشليم داود ، وفي عهد ابنه سليمان عليهما السلام ، وبعد بناء الهيكل حين نقل إليه التابوت لم يكن به سوي لوحي الحجر ، أما التوراة التي كتبها موسي عليه السلام ، والتي نسخها يشوع فلم يرد لهما ذكر ، ولم يتحدث أحد عن أخبار نسختي موسي ويشوع .

ويقول الدكتور/ صابر طعيمه : ومن الجدير بالذكر أن الأساطير الحبشية تروي عن التابوت الإسرائيلي في عهد سليمان أن (ابن الحكيم) الذي ولدته (مكيدا) من سليمان بطريق غير مشروع ، طلب من سليمان أبيه جزءًا من غطاء تابوت العهد ليهديه لأمه وشعبها .

وحين أجاب سليمان سؤاله استطاع بعض مرافقيه من أبناء أورشليم بتوجيه من الكاهن (عاوز بن صادوق) أن يصنعوا صندوقاً علي صورة تابوت العهد ، ثم استبدلوه بالتابوت الأصلي ، وهكذا لابن الحكيم عند سفره عن

---

(١)إصحاح : ٨:٣٠١٥

(٢)انظر سفر صموئيل الأول إصحاح ١ : ٤-١١

أورشليم إلي الحبشة التابوت والغطاء معاً ، ودون أن يدري بأمر سرقة التابوت إلا حين وصل إلي مصر ورأي أن تماثيل آلهتها كانت فيما تقول الأساطير الحبشية تنحني للتابوت وتسجد له "(١) .

ظهور التوراة :

إن سفر صموئيل الأول أخبرنا أن التوراة التي كانت في التابوت استولي عليها الفلسطينيون ، وأن الأساطير الحبشية روت لنا أن التابوت الإسرائيلي سرق ، وبهذا يكون التابوت قد ضاع من أيدي الإسرائيليين ، ولكن سفر الملوك الثاني يحكي لنا أن الكاهن (حلقيا) يكتشف بطريق الصدفة المجردة (سفر الشريعة) في الهيكل فيقول ما نصه :

(فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب ، قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان ، فقرأه وجاء شافان الكاتب إلي الملك ورد علي الملك جوابا وقال : قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا وقرأ شافان أمام الملك فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه ، وأمر الملك حلقيا الكاهن واحيقام بني شافان وعبكور بن ميخا وشافان الكاتب وعسايا عبد الملك قائلاً : اذهبوا اسألوا الرب لأجلي ولأجل الشعب ولأجل كل يهودا من جهة كلام هذا السفر الذي وجد "(٢) .

إذًا تفهم من هذا النص أن الكاهن حلقيا اكتشف سفر الشريعة في الهيكل في عهد الملك يوشيا الذي يعتبره العهد القديم رجلا فاضلاً ومستقيماً في عيني الرب (والأمر الذي لم يتنبه إليه المفكرون اليهود القدامي والمحدثون ، وكان يجب عليهم أن يفطنوا له ويدركوه هو أنه من موت سليمان وحتي عصر ظهور يوشيا الملك حوالي : ٦٢٢ قبل الميلاد أي أكثر من ثلاثمائة عام ولاتوجد أدني معلومة عن التوراة ولم يسأل أحد من الشعب أو قادته عن سفر الشريعة ، ثم فجأة وبعد عمليات عديدة من الهدم والبناء يكتشف الكاهن حلقيا وبطريق الصدفة المجردة (سفر الشريعة) ومتي يكون ذلك ؟ عندما يرسل إليه الملك يوشيا خادمه (شافان ابن أصاليا أبن مشلام) للمحاسبة ومراجعة الأموال المحببة من الشعب ، وعندما يقرأ الجميع : الكاهن حلقيا وشافان والملك ، والشعب يدرك الجميع أنهم جادوا وضلوا وزاغوا عن الطريق المستقيم ، والعجيب الغريب الذي يقصه علينا سفر الملوك الثاني في الإصحاح رقم : ٢٢ ومن الفقرات ٣-١٣ وكذلك أخبار الأيام الثاني من الإصحاح ٣٤: ٨-٢٨ مما يتعلق بهذه الوقائع لم يفطن إليه – كما قلنا – العقل اليهودي في القديم والحديث ويدرك أنه أمام محنة قاسية وأنه واقع أمام عملية تزييف كبري قا م بها الكاهن حلقيا في دعواه الكاذبة التي ادعي فيها انه وجد سفر الشريعة في ركن من أركان الهيكل .

إن الهيكل قبل عهد يوشيا وقبل عهد ملك يهوذا قد تعرض للنهب والعدوان ولم يكن مغلقاً علي أسرار فضلاً عن أن الكهنة والسدنة والخدم يدخلونه كل يوم ، وليس بالقطع فيه من الجوانب أو الحجرات أو السراديب شيئا يمكن أن تكون قد وقعت عليه يد الكهان ، ثم أن يوشيا لم يرسل إلي حلقيا شافان إلا بعد مضي ثمانية عشر عاما علي ملكة كما يقول الإصحاح الثاني والعشرين من الملوك الثاني ، فأين كان حلقيا طوال هذه المدة ؟

ولم لم تقع عينه علي سفر الشريعة طوال سبعة عشر عاماً ؟

لم يقل لنا كاتب الملوك الثاني أي نسخة من الشريعة وجدها حلقيا ؟

أتلك التي كتبها موسي وأخذ العهد عليه من بني إسرائيل ؟

أم النسخة التي كتبها يشوع وأضاف إليها ما أضاف وحذف منها ما حذف علي ضوء مافي سفره ؟

أم لوحي الحجر اللذين تركهما موسي مع تابوت العهد ؟

أبعد هذا كله يأتي إلينا رجال اللاهوت ويدعون أن التوراة من عند الله وأنها مصدر موثوق به ؟

---

(١) ص٦١ الأسفار المقدسة قبل الإسلام – عالم الكتب – الطبعة الأولي : ١٩٨٥م.

(٢) إصحاح ٢٢ : ٨-١٣ .

لذا نجد العلامة رحمة الله الهندي يتعجب كما تعجبت من ذلك – فيقول : العجب كل العجب أن تكون النسخة في التابوت لايراها أحد ، فهذه النسخة ما كانت إلا من مخترعات حلقيا ، فإنه لما رأي توجه السلطان والأراكين إلي اتباع الملة الموسوية جمعها من الروايات اللسانية التي وصلت إليه من أفواه الناس سواء كانت صادقة أو غير صادقة ، وكان إلي هذه المدة يقصد فترة حكم يوشيا في جمعها وتأليفها ، فبعد ما جمع نسب إلي موسي عليه السلام ، ومثل هذا الافتراء والكذب لترويج الملة وإشاعة الحق كان من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء المسيحيين)(١) .

ضياع التوراة نهائيا :

إن التوراة بعد ما وجدها الكاهن حلقيا – علي حد زعم كتاب العهد القديم – ضاعت حيث أن يختنصر ملك بابل اجتاح مملكة يهوذا عدة مرات ، بسبب ما يلقاه من عذر ونقض للعهود إلي أن هاجمها عام ٥٨٨ ق . م فدك أسوار القدس وأحرق المدينة والهيكل بعد أن أخذ منه التابوت ، وتتبع الهارونيين وسائر الكهنة ، فقتلهم علي دم رجل واحد ثم سبي اليهود جميعاً فساقهم إلي بابل مقيدين بالسلاسل ، ولم يترك فيها سوي أفقر الفقراء ، وفي هذه الحادثة انعدمت التوراة وسائر أسفار العهد القديم التي كانت مصنفة ، واليهود والنصاري يقرون بذلك (٢)

المرحلة الرابعة : عزرا كاتب التوراة الحالية :

في عهد الملك الفارسي (أرتخشستا) كان في بابل كاهن يهودي مقرب من الملك اسمه (عزرا بن سرايا) من سبط هارون ، طلب من الملك أن يسمح له بعودة فوج آخر من اليهود إلي القدس فوافق(٣) ، ثم (عاد عزرا عام ٤٥٨ ق . م ، ومعه عامة الشعب وقوم من الكتبة اللاويين ، وأموال كثيرة ورسالة أمن وتوصية من الملك جاء فيها – كما في سفر عزرا ٧ : ٢٥-٢٦ :

أما أنت ياعزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ، ضع حكاما وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر ، من جميع من يعرف شرائع إلهك ، والذين لايعرفون فعلموهم وكل من لايعمل بشريعة وهكذا وضع عزرا – بتأييد من الفرس – نظاما للجماعة اليهودية برئاسة الكاهن الأكبر ومجلس الحكمة دون أن يكون لهم كيان سياسي بأي وجه .

ودأب عزرا ومن معه من الكهنة علي تنصير اليهود بالشريعة وتفسيرها لهم ، ولذلك لقبوه بالكاهن وبالكاتب وبالوراق أي العالم الفقيه ، وخضع لهذا النظام اليهود في الخارج ، لكن السامريين – وهم من بقايا مملكة إسرائيل لم يعترفوا بهذا النظام (٤) .

ومن هنا فإن أكثر الباحثين من اليهود والنصاري ينسبون التوراة الحالية إلي عزرا يقول د / أحمد حجازي السقا : إن السامريين من اليهود يقولون : إن عزرا – بفتح العين – هو الذي كتب التوراة ، وأنه حرف كلام الله وغير وبدل عمداً بمحض إرادته ، ولم تكن التوراة ضائعة فكتبها ، بل استبدل الحق بالباطل "(٥)

---

(١) اظهار الحق .

(٢) انظر صـ ٢٥٨ اليهودية د / أحمد شلبي الطبعة الخامسة ١٩٧٨م. مكتبة النهضة الحديثة . وانظر ص ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ التوراة بين الوثنية والتوحيد لسهل أديب – الطبعة الأولي ١٩٨١م. دار النفائس – بيروت .

(٣) انظر سفر عزر إصحاح ٧ .

(٤) صـ ٦٥ الشرائع الدينية – أحمد يسري .

(٥) صـ ٧٣-٧٤ نقد التوراة .

والسبب في تلك العداوة التي وجدت بين السامريين وطائفة أخري من اليهود من أجل الرئاسة وبناء الهيكل يقول أبو الفتح بن أبي الحسن السامري في تاريخه :

إن الفارسيين لما سمحوا لليهود بالعودة إلي ديارهم طلبوا منهم أن يتحدوا تحت رئاسة واحدة ، وتكون لهم عاصمة واحدة ليسهل التعامل معهم ، فأصر بنو مملكة إسرائيل (السامرة) أن تكون الرئاسة فيهم وأن يكون هيكلهم في (نابلس) هو القبلة .

وأصر بنو مملكة يهوذا (أورشليم) أن تكون الرئاسة فيهم ، وأن يكون هيكلهم أورشليم هو القبلة ، واشتد العداء بينهم من أجل ذلك ، فغير فريق أورشليم نصوص التوراة التي عنده لصالحه ، وخالفوا الخط العبراني (١) .

ويقول الكاتب المسيحي ول د يورانت :إنه في وقت سيادة الفرس علي اليهود ، شرع الكهنة ، في وضع قواعد حكم دين يقوم علي المأثور من أقوال الكهنة وتقاليدهم ، وعلي أوامر الله ، وفي عام ٤٤٤ ق . م وعاعزرا – وهو كاهن عالم – اليهود إلي اجتماع عام خطير ، وشرع يقرأ عليهم من مطلع النهار إلي منتصفه سفر (شريعة موسي) وظل هو وزملاؤه اللاويون سبعة يقرأ عليهم أيام كاملة يقرءون عليهم ما تحتويه ملفات هذا السفر ، وكما فرغوا من قراءتها أقسم الكهنة والزعماء والشعب علي أن يطيعوا هذه الشرائع ويتخذوها دستوراً لهم يتبعونه ومبادئ حلقيه يسيرون علي هديها ، ويطيعونها إلي أبد الآبدين "(٢)

يفهم من هذا الكلام أن التوراة الحالية هي من وضع الكهنة بما فيهم عزرا .

ومما يزيد الأمر وضوحا أن كثيرا من الباحثين الغربيين اعترفوا بضياع التوراة ، وأن عزرا هو الذي كتبها مرة أخري ، فها هو (كليمنس اسكندريا نوس) يقول :" إن الأسفار السماوية ضاعت فألهم عزرا أن يكتبها مرة أخري ."

وقال ترتولين : " المشهور أن عزرا كتب مجموع الأسفار بعدما أغار أهل بابل علي أورشليم ."

وقال تهيو فلكت : " إن الأسفار المقدسة انعدمت رأسا فأوجدها عزرا مرة أخري بإلهام " (٣)

وحتي هذه النسخة التي كتبها عزرا لم تلبث أن فقدت مرة أخري يقول جان ولز المسيحي الكانوليكي :اتفق أهل العلم علي أن نسخة التوراة الأصلية ، وكذا نسخ أسفار العهد العتيق ضاعت من أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة انتيوكس "(٤)

إذن : الاعتقاد السائد لدي الكثير من علماء اليهود أن عزرا هو الذي جمع أسفار التوراة ونظمها ، ولكن الدلائل تشير إلي أنها كتبت في مراحل متباعدة ، وقد كتبها وجمعها معه قوم آخرون وهم الكهنة كما أشرنا إلي ذلك من قبل .

ويقول ولديورانت : إن العلماء مجمعون علي أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود ، والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتاب عزرا ، ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة اتخذت صورتها الحاضرة حوالي عام ٣٠٠ ق . م ، ويقرر أيضاً ، أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل ، ثم ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد (٥)

---

(١) صـ٧٤،٧٣ المرجع السابق .

(٢) نقلاً من جـ ٣ صـ ٧٢٦ اليهودية للأستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني الطبعة الأولي عام ١٩٦٧م.

(٣) صـ٣، ٢١٤ أظهار الحق لرحمة الله تعالي الهندوي .

(٤) ص ٢٨٤ المرجع السابق وحادثة انتوكس ورد ذكرها في سفر المكابيين الأول إصحاح ٥٩ :١-٦٠ .

(٥) جـ٣٦٧ ، ٣٦٨ قصة الحضارة .

وقد أعلن بحاثة يهودي وأستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية في القدس حيث يقول : إن الأسس التاريخية لهذه العقيدة اليهودية ، قد أعطيت لليهود في تشريعات عزرا ونحميا حوالي سنه ٤٠٠ ق . م ثم عدلت ونقحت في القرون التالية في الشريعة غير المكتوبة أي الشفوية وتلمود بابل ، وعلماء الكتاب المقدس كلهم مجمعون علي أن العهد القديم ، جري وضعه خلال النفي في بابل وبعده (١) .

وخلاصة القول : إن اليهود قد نالهم الاضطهاد – كما هو معلوم في الأوساط العلمية – من قبل الكلدانيين والبابليين والفرس ، واليونان والرومان والنصاري ، وما من أمة إلا وقد قصدتهم أشد القصد، واشد ذلك ما نالهم علي أيدي ملوكهم العصاة المرتدين ، فأي توراة تبقي مع هذا كله ؟

وأي بديل لها مما كتبه عزرا وغيره صحيحا سالما ؟

إنه مما لاشك فيه أن التوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم ليست هي التوراة التي أنزلها الله تعالي علي موسي عليه السلام قطعاً ، بل إنما هي من جمع وتلفيق عزرا وغيره إبان السبي وبعده علي أحسن تقدير ، ثم ألحق بها أسفاراً خلفها كتاب مجهولون عالجوا النصوص علي سجيتهم ، وبحسب الظروف التي عاشوها والضرورات التي كان عليهم مواجهتها .

وأيضاً إنه لم يقم دليل علي عصمة عزرا ومن ساعده ، ولا علي أن تلك النصوص التي جمعها من عين التوراة التي أنزلها الله تعالي علي موسي عليه السلام ، كما أنه لم يقم دليل علي أن التوراة الموجودة اليوم هي التي كتبها عزرا وغيره إبان السبي وبعده بدون زيادة ولا نقصان ، لأنه ليس لها شبه سند ، فضلاً عن أن يكون لها سند متصل أو تكون منقولة بالتواتر ، لا سيما وأن أهل الكتاب لا يعتمدون علي الأسانيد ، ولا يعرفون علم الرواية ونقل الأخبار ، كما هو الحال لدي المسلمين .

إذاً:

التوراة مرت بمراحل متعددة وأدوار مختلفة تجعلنا نؤكد علي :

- أن التوراة الحالية التي بأيدي اليهود والنصاري ، والتي يعتقدون قد سيتها ليست هي التي جاء بها موسي عليه السلام .
- كما أنها ليست هي التوراة التي زعم حلقيا أنه قد وجدها في بيت المقدس بعد سبع عشرة أو ثمان عشرة سنة قضيت من حكم يوشيا الملك .
- كما انها ليست هي التوارة التي كتبها عزرا بعد العودة من سبي بابل فكل قد ضاع بسبب ما أصاب اليهود من اضطهادات علي أيدي أعدائهم غير تاريخهم السحيق والذي يؤكد ذلك قول الكاتب النصراني ول ديورانت ما نصه :" وإنه لم يبق لدينا من شريعة موسي سوي الوصايا العشر " (٢) .

---

(١) صـ ٣٥ التوراة تاريخها وغاياتها ترجمه وتعليق سهيل – ميخائيل – الطبعة الثالثة اصدار دار النفائس بيروت .

(٢) جـ ٢ صـ ٣٩١ قصة الحضارة .

المبحث الثالث :

هل التوراة الحالية كلمة الله ؟

تبين لنا مما تقدم أن التوراة الحقيقية التي أنزلها الله تعالي علي موسي عليه السلام قد ضاعت خلال عصيان اليهود وارتدادهم ، ثم ضاع بديلها في أثناء الغارات المتتالية علي القدس ، وأن ما يسمي اليوم بالتوارة إنما هو مجموعة من القصص والروايات التي كانت مشتهرة بين اليهود ، قام أحبارهم بجمعها وكتابتها بعد موسي عليه السلام في أزمان متعددة متباعده – كما أشرنا – من غير تدقيق ولاتحقيق ، وعلي هذا فإن التوراة قد فقدت مصداقيتها ، وبالتالي فإنها غير موثوق فيها اليوم ، ويظهر واضحا وجليا من النواحي التالية :

انقطاع السند :

ليس للتوراة التي بين يدي أهل الكتاب اليوم شبه سند ، فضلاً عن أن تكون منقولة بالتواتر ، وذلك لما لحقها من تبديل عدة مرات نتيجة لضياع النصوص الحقيقية تقول دائرة المعارف البريطانية في صفحة ٥٧٢ تحت كلمة BIBLE .

ولما كان الكتاب المقدس عبارة عن مجموعة من الوثائق التي تلقيناها من التراث مائة سنة بعد الميلاد ، والأجزاء الأولي منه نحو ألف سنة أو أكثر قبل الميلاد ، فإن دراسته تتطلب تكتيكات معينة ... ولما كانت أقدم المخطوطات للكتب المقدسة عبارة عن نسخ عدلت عند النسخ ونحن نتعامل مع نسخ من التراث وجب التخفيف من نقد النصوص حتي نستطيع أن نعين بقدر الإمكان الكلمات الأصلية ، ومعني ذلك أن نغمض أعيننا عن عما يتلاءم مع عقولنا " (١)

ويقول الأستاذ / أحمد طاهر : إن التوراة بعد موسي بنحو ٢٥٠ سنة وكان العهد القديم عدة نصوص جمعت في ثلاثة أقسام حتي القرن الثالث قبل الميلاد ، وحتي هذه النصوص الثلاثة فقدت مرة أخري ، ثم أعيد جمعها من الروايات الشفهية ، ودونت في نص واحد في القرن الأول بعد الميلاد (٢)، ولعل في ذلك ما يؤكد لنا انقطاع سند التوراة .

وإليك بعض شهادات المحققين من علمائهم منهم العالم الكاثوليكي جان ميلز حيث يقول :اتفق أهل العلم علي أن نسخة التوراة الأصلية ، وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكر بختنصر ، ولما ظهرت نقولها بواسطة عزرا ضاعت تلك في حادث إنتيوخوس "(٣) .

وجاء أيضا في دائرة المعارف الكبري التي اجتمع علي تأليفها خمسمائة عالم من أعظم علماء فرنسا مقالاً للمسيو موريس فورن ناظر مدرسة العلوم العليا بباريس حيث تكلم فيه علي التوراة فقال :

لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من كتب التوراة ، وفي أي حال وظروف ، وبأقلام من كتب لا نجد أحد يجيبنا عن تلك الأسئلة وما شابهها إلا بأجوبة متباينة ... إلي أن قال والملخص أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصاري واليهود ، وتقوض بنيان ادعاء السابقين وتبريء الأنبياء من تلك

---

(١) صـ ١٥ الأناجيل دراسة مقارنة للأستاذ / أحمد طاهر – دار المعارف .

(٢) صـ ١٤ المرجع السابق .

(٣) جـ ١ صـ ٢٢٩ إظهار الحق .

الكتابات ... ثم تكلم علي الكتب المشتملة عليها التوراة واحداً واحداً مبينا أن تصحيح هذه الكتب كالنقش في الماء أو البناء في الهواء إلي أن قال :

ولكن ما الحيلة ونحن من نحو مائة سنة حياري بين أسانيد بمحو بعضها بعضاً ، فالحديث (أي الجديد) يناقض سابقة ، والسابق ينافي الأسبق ، وقد تناقض أجزاء الدليل الواحد ... إلي أن قال : وأيسنا من الوصول إلي معرفة صاحب الكتاب الحقيقي "(١) .

ويقول الشيخ رحمه الله الهندي في كتابه القيم (إظهار الحق) :طلبنا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم فقال : إن سبب فقدان السند عندنا وقوع المصائب والفتن علي النصاري إلي مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا كتب الإسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت إن الظن في هذا الباب لايغني شيئا ، فما داموا لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل فمجرد المنع يكفينا ، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا (٢) .

التحريف والتبديل :

من المعلوم أن أي كتاب مقدس لايمكن أن تلحقه يد بشرية تغير فيه أو تبدل بالزيادة أو النقصان أو غير ذلك من أمور التحريف قال تعالي : { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }(٣)

وفي هذا الخصوص توصلت جهود علماء النقد إلي أن النص الأصلي للتوراة لا وجود له ، وأن التوراة الحالية اعتمدت في بنائها علي مصادر إنسانية استفادت من نص قديم للتوراة ، فعدلت منه وغيرت فيه بالزيادة والنقصان ... وكنتيجة مباشرة لضياع النص الأصلي للتوراة وما أصابها من تبديلات وتغييرات وتحريفات ، أصبحت معرفة الأجزاء الموحي بها فعلاً أمرا في غاية الصعوبة ، فقد ضاعت عبارات وألفاظ الوحي الأصلية في خضم عمليات التحرير التي خضع لها نص التوراة وقد تسرب التناقض إلي التوراة ، وأصابها الخلل في بنائها وتعددت أساليبها ، واختلفت مفاهيمها " (٤) .

والناظر لأسفار التوراة يجد نصوصا كثيرة تؤكد تحريفها وتعديلها ، من هذه النصوص ما جاء في سفر العدد ما نصه :

فقال موسي للرب "(٥) وفي سفر الخروج (وقال الرب لموسي .... فتكلم موسي بين يدي الرب) (٦) .

ويعلق العلامة القرافي علي هذه النصوص فيقول : إنه قد تكرر في أسفار التوراة (وكلم الرب موسي وقال له اقبض حساب بني إسرائيل ، وكلم الرب موسي ، وقال كلم بني إسرائيل ، وهذه العبارة يقطع العاقل بأنها ليست من كلام الله تعالي ، ولا من كلام موسي عليه السلام ، بل هي حكايات من قول الغير لمعني وقع ، ولعل هذا الحاكي أخل باللفظ والمعني ، أو بالمعني وحده ، ولم يثبت عندنا عدالته ولا معرفته ، بل ولعله عدو للدين قصد الإفساد والتبديل والتغيير ، فيحصل القطع بأن هذه التوراة لا يجوز الاعتماد علي شيء منها ، وأنها مغيرة قطعاً .

---

(١) صـ ٢٨٣-٢٨٤ الفرق بين المخلوق والخالق – عبد الرحمن زاده طبعة ١٤٠٧هـ

(٢) صـ ٨٤،٨٣ إظهار الحق .

(٣) من سورة النساء آية :٨٢

(٤) صـ ٨ . ٩ علاقة الإسلام باليهودية د / محمد خليفة حسن – دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٨م.

(٥) إصحاح ١١ : ١١ .

(٦) إصحاح ٦ : ١-٣ .

ثم يستطرد قائلاً : إن اليهود تعترف بأن سبعين كوهانا اجتمعوا علي تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة بعد المسيح عليه السلام في زمن القياصرة ومن اجترأ علي تبديل حرف من كتاب الله تعالي كفر ، وتحريفه لايوثق به فيما يدعي أنه كتاب الله تعالي ، إذ لعله مما حرفه ، والكوهان هو المتقدم في أصول ديانتهم وصاحب هيكلهم ولا يكون إلا من ولد هارون عليه السلام ، واتفق اليهود علي أن التوارة ما كانت توجد إلا عند الكوهان وحده ، فإذا كان هذا ثناؤهم الجميل فعلي من يحصل التعويل ، بل يجزم العاقل بوقوع التغيير والتبديل .

ثم يقول أيضاً : أن طائفة من اليهود ويقال لهم السامرية اتفق اليهود علي أنهم حرفوا التوراة تحريفاً شديداً ، والسامرية يدعون عليهم مثل ذلك التحريف ، ولعل الفريقين صادقان ، فأين حينئذ في التوراة شيء يوثق به مع تقابل هذه الدعاوي من فرق اليهود فكفونا بنفسهم عن أنفسهم ، وكذلك النصاري أيضاً يدعون علي اليهود أنهم حرفوا في التوراة والتواريخ ، ونقصوا من تاريخ آدم عليه السلام ألفا ونحو المائتين سنة حتي تنازعوا في زمن ظهور المسيح عليه السلام ، وتقدموه ، وهذه أمور لايدعي معها الجزم بعد تحريف التوراة إلآ مغاند متعسف "(١) .

ومن النصوص التي تزيد الأمر جلاء ووضوحا علي تحريف التوراة ما جاء في سفر التثنية نصه : " فمات هناك موسي عبد الرب في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلي هذا اليوم ، وكان موسي ابن مئه وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته "(٢) فهذا النص من أجل الأدلة وأعظمها علي تحريف التوراة ، وذلك فإن الناظر إليه يدرك تماما أنه لا يمكن أن يكون موسي عليه السلام هو كاتبه لأنه لايعقل أن يكتب موسي عليه السلام تفاصيل موته " فمات — دفنه — قبره — كان " وهذه عبارات تفيد الغيبة ، وأسلوب الغيبة لايدل علي قطعية الإيحاء .

يقول الشيخ / أحمد ديدات عن هذا النص وغيره " إنه واضح جلي بأن هذه النصوص هي ليست من أقوال الله ولا من أحاديث موسي ، إنها تدل علي صوت المؤلف بضمير الغائب قام بالتصنيف ما سمعه بالإشاعات وأنباء العصر .

ثم قال : أيمكن أن يكون موسي قد كتب تفاصيل موته ؟ قبل وفاته وصيرورته رفاتا ؟ هل حدث أن كتب يهودي تفاصيل موته ؟ مات موسي ودفنه الله (٣) ، كما جاء في سفر التثنية : ٢٤ : ٥-٧ .

وبناء علي ذلك فإن هذا النص يؤكد أنه ألف بعد وفاة موسي عليه السلام — لأن العقل والمنطق لا يجيزان أن يكون هذا الكلام نزل علي موسي عليه السلام في حياته ، وإنما كتب بعد موسي عليه السلام بالضرورة ، فهو غير المنزل قطعاً .

وقد اعترف بعض علمائهم بأن العهد القديم لحقه التحريف منهم آدم كلارك حيث قال :وقعت في كتب التواريخ من العهد العتيق تحريفات كذلك في مواضع أخري والاجتهاد في التوفيق بين الآيات المتعارضة عبث ، والأحسن أن يسلم من أول وهلة : الأمر الذي لاقدرة علي انكارة بالظفر ومصنفو العهد العتيق ، وإن كانوا ذوي إلهام لكن الناقلين لم يكونوا كذلك "(٤) .

---

(١) صـ ٢٥٧ — ٢٥٩ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة للقرافي تحقيق د */ بكر زكي عوض — مكتبة وهبه الطبعة الثانية عام ١٩٨٧

(٢) إصحاح ٢٤ : ٥-٧.

(٣) صـ ١٥١ هل الكتاب المقدس كلام الله للشيخ أحمد ديات ترجمه وتحقيق الشيخ / إبراهيم خليل أحمد دار المنار — الطبعة الأولي ١٩٨٩م.

(٤) صـ ٢٧٢ إظهار الحق

فهذا المفسر اعترف بالتحريف لكنه لم يقدر علي التعيين ، واعترف أن التحريفات في كتب التواريخ من العهد القديم وأنصف حيث قال : إن الطريق الأسلم تسليم التحريف من أول وهله .

ج-التناقض والتضارب :

لقد حوت التوارة تناقضات وأغاليط لا تقف مع العلم والواقع والتاريخ ، وحول هذا الموضوع قدم الدكتور / موريس بوكاي – دراسة واعية وجادة ، حيث ذكر مآخذ كثيرة علي تلك الأسفار ، فمن مآخذه قوله عن سفر التكوين مثلا ما نصه :في سفر التكوين توجد أكثر المتناقضات وضوحاً مع العلم الحديث وتخص هذه التناقضات ثلاث نقاط جوهرية :

- خلق العالم ومراحله .
- تاريخ خلق العالم ، وتاريخ ظهور الإنسان علي الأرض .
- رواية الطوفان "(١)

نماذج من التناقض والأغلاط في أسفار التوراة :

جاء في سفر التكوين ٢/٤ : أن هابيل بن آدم كان راعي غنم ، ثم جاء بعد ذلك في نفس الإصحاح ١٩/٤-٢٠ من السفر نفسه أن يابال – وهو في العقب السابع من آدم – كان أول من رعي الغنم وسكن الخيام ، فمن الراعي الأول ؟

جاء أيضا في سفر التكوين إصحاح ٣/٦ : إن الله تعالي قد غضب في زمن نوح علي النوع الإنساني ، فجعل أعمار البشر لا تتجاوز (١٢٠) سنة .

ثم جاء بعد ذلك في إصحاح ١٠/١١ من السفر نفسه : إن سام بن حام عاش (٦٠٠) سنة وأرفكشاد بن سام عاش (٤٣٨) وشالح بن أرفكشاد عاش (٤٣٣) سنة ، وعابر بن شالح عاش (٤٠٤) وفالح بن عابر عاش (٢٣٩) سنة ، ورعو بن فالح عاش (٢٣٩) وسروح بن رعوعاش (٢٣٠) سنة ، وناحور بن سروح عاش (١٤٨) سنة ، وتارح بن ناحور عاش (٢٥) سنة .فهل هي غفلة من الكاتب عما أورده غيره أم أن كل شيء وضع وحده ثم تم الجمع ؟ .

جاء في سفر التثنية إصحاح ٢/٢٣ : لايدخل ابن زني في جماعة الرب حتي الجيل العاشر) وجاء في اصحاح ٣٨ من السفر نفسه : أن فارض ابن زني ، وأن داود هو البطن العاشر من فارض .

ويظهر هذا أيضا في سرد نسب المسيح عليه السلام في انجيلي متي ولوقا ، فكيف دخل داود في جماعة الرب ، وصار الولد البكر لله كما في الزبور ، ولذلك حكم المفسر هارسلي بأن هذه الجملة :(حتي يمضي عشرة أعقاب) ملحقة بالنص وليست أصلية "(٢) .

ونلاحظ أيضاً التناقض والتضارب في سياق قصة واحدة في سفر واحد في اصحاح واحد – وكأن الكاتب يكتب وهو نائم أو مخمور – ما جاء في قصة لعنة كنعان فيقول سفر التكوين : (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه ، فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه ، وأخبر أخويه خارجاً ، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه علي أكتافهما ومشيا إلي الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلي الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما ، فلما استيقظ نوح من خمره علم مافعل به ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته ، وقال : مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبد لهم ليفتح الله ليافث فيسكن في مسكن سام ، وليكن كنعان عبدًا لهم "(٣) .

---

(١) صـ ٤٠ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة – دار المعارف ١٩٧٩م.

(٢) ج ١ صـ ٦٣ ، ٢٤٨ إظهار الحق .

(٣) إصحاح ٩/ ٢٠-٢٧ .

لاشك أيها القاريء خرجت من قراءتك لهذا النص وأنت في حيرة من أمرك ، وعندك حق في ذلك . لأن الكاتب هنا لم يحاول أن يراعي مستوي العقلاء من الناس .

وأي عاقل أيضاً يتصور أن يحمل الاثنان الرداء وكأنه لوح خشب ويسيرا به إلي الخلف حتي يصنعاه علي العورة نفسها بالضبط دون أن يبصرا الموضع ؟

والأدهي من ذلك أنه بعد أن يعرف نوح ماحدث ، يصب جام غضبه ولعناته علي كنعان دون بقية اخوته ؟ وما المقصود بإخوته هنا في هذه العبارة ؟ هل سام ويافث ؟ بالطبع لا . لأن سام ويافث أخوهما حام لاكنعان .

أخبرونا !!! كنعان يكون عبدا لمن ؟ هل لاخوته لأبيه ؟ أم لأعمامه ؟

ومن المعروف أن لحام أربعة أولاً " هم كوش ومصرايم وفوط وكنعان .

وبنوكوش هم في بلاد النوبة وبلاد الحبش .

وبنو مصر أين هم في مصر العليا والسفلي .

وبنو فوط هم شمالي أفريقيا .

وبنو كنعان هم في ساحل البحر الأبيض المتوسط وفي أرض فلسطين "(١) .

اعتقد هنا وضحت الصورة بعض الشيء وهو لماذا اختص كنعان بالذات وحقت عليه اللعنه دون إخوته ؟

الإجابة علي ذلك هو خبث ومكر الكاتب حيث إنه يبرر لليهود احتلالهم لأرض كنعان وهي فلسطين .

في سفر الخروج ١٨/٢ ذكر الكاتب أن اسم كاهن مدين حمو موسي عليه السلام هو (عوئيل) وفي نفس السفر ١/٣ ذكر أن اسمه (يثرون) .

وفي سفر العدد ٢٩/١٠ ذكر الكاتب أن اسمه (حوباب) وهذا تناقض . وغير هذا كثيرو كثير من التناقضات والاختلافات في أسفار التوراة ذكرنا منها علي سبيل المثال أعرضنا عن الكثير .

د – تشويه الذات الإلهية :

قلنا إن أي كتاب مقدس لابد له من شروط ، أهم هذه الشروط :أن يكون من عند الله تعالي ، وأن يحوي من الكلمات والمواقف مايليق بجلال الله تعالي وعظمته أما إذا حوي الكتاب ... أي كتاب يقال عنه إنه مقدس ... العديد من القصص الجنسية الرخيصة ... المواقف المخجلة وافتراءات علي الله سبحانه وتعالي فيصبح مثل هذا الكتاب شيئاً آخر بعيدا كل البعد عن الطهر والقداسة ، وكل من يدافع عن قداسته كمن يجري وراء السراب علي أنه ماء حتي إذا جاءه لم يجده شيئاً .

والتوراة مليئة وزاخرة بأمثلة تصف فيها الذات الإلهية بصفات لا تليق بجلال الله وعظمته وإنما تليق بإله اليهود الذي رسمته أسفار التوراة في صورة هزلية مضحكة ، مما يجعلنا لا نمنحه أي ثقه ولا نضفي عليه أي تصديق .

فهو إله يلحقه التعب : فالإسرائيليون يقدسون السبت والسبب في ذلك يرجع – حسب نصوص توارتهم – إلي أن إله إسرائيل خلق الكون في ستة أيام ، واستراح في يوم السابع وسموه (السبت) وهو من الثبوت أي الراحة فيقول سفر التكوين : " وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل " (٢) .

هو السبب في تقديسهم ليوم السبت ، لأن الله تعالي استراح فيه بعد الجهد الشاق الذي بذله في الأيام الست ، وهم يعتقدون أنهم يشاركون الله راحته براحتهم يوم السبت .

---

(١) صـ ١٠٠ نقد التوراة .

(٢) إصحاح ٢ : ٢ .

بل الأكثر من ذلك أن إله إسرائيل يقرر عقوبة الإعدام لكل من يخالف أوامره ويعمل يوم السبت . يصور لنا هذا الموقف سفر الخروج فيقول ما نصه : ستة أيام يعمل عمل ... وأما اليوم السابع ففيه يكون لكم سبت .. عطلة مقدسة للرب .. كل من يعمل فيه عملاً يقتل .. لا تشعلوا ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت ."[١]

ويكرر إله إسرائيل هذه الأوامر في كل أسفار التوراة الخمس .

٢- إله يندم علي ما يفعل :

يصور لنا سفر التكوين أن الله ندم أشد الندم لأنه خلق الإنسان – لماذا ؟

لأن الإنسان أصبح شريراً وغضب الرب إله إسرائيل وقال في نفسه – عجباً إذ قال هذا الكلام في نفسه – فمن أخبركم بهذا – إنه سيمحو كل شيء علي الأرض إلا الإنسان .. والطير .. والحيوان والشجر – الخ : ثم رأي الرب بعد ذلك أن شر الإنسان قد كثر في الأرض .. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض .. وتأسف في قلبه فقال الرب .. أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته وكذلك الدواب وطيور السماء فيقول : لأني حزنت أني عملتهم "[٢] .

هكذا صورت التوراة الله بصورة لا تليق به اللهم إلا إذا كان إله إسرائيل الذين صنعوه لأنفسهم – فهو إله غير مدرك لأبعاد ما يصنعه ، غير دار بما سيحدث من الإنسان مستقبلاً .... هكذا حجبت التوراة عن الله علم الغيب وجعلوه يندم علي خلقه للإنسان .

إن الإنسان المحدود القدرات ، عندما يخترع آلة مثلا يعرف طاقتها وقدرتها ، ويعرف متي تتعطل مدي العطل فيها .... فما الشأن بالخالق سبحانه وتعالي غير محدود القدرات الذي خلق الكون بكل تعقيداته بدقه بالغة وصنعة فائقة آلا يعلم من خلق بعد ذلك ، تصوره التوراة أيضاً بأنه ندم علي ندمه لماذا ؟ لأنه ظهر له أن الإنسان طيب وليس شريراً ؟

السبب يرجع إلي أن نوحا ذبح له الذبائح وحرقها وصعدت رائحة الشواء للسماء فتنسمها الرب وقال في قلبه لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان "[٣] .

وهكذا تصوره التوراة بإله مرتشي حيث إنه ندم علي ندمه بأنه خلق الإنسان ، فمجرد أن نوحا أحرق بعض الذبائح وصعدت رائحة الشواء في السماء ندم الرب وعرف أن الإنسان طيب وليس شريراً ؟ لهذا السبب يكثر الإسرائيليون من حرق الذبائح وشويها.

وهذا غيض من فيض وقليل من كثير من ذكر صفات لاتليق بالله رب العالمين .

هـ - وصف الأنبياء بصفات لاتليق بجلال النبوة والرسالة :

إن القارئ لأسفار التوراة يجد فيها وصف الأنبياء عليه السلام بصفات لا تليق بقدر هم ومكانتهم فهذا نوح عليه السلام تجعله التوراة يسكر حتي الثمالة ، ، ولا يدري بنفسه حتي تنكشف عورته .. ولكن لماذا أسكرته التوراة ؟

يرجع ذلك السبب في هذا اظهار الحق الدفين في قلوبهم تجاه الفلسطينيين ، لأن كنعان هذا – كما قلت – هو أبو الفلسطينيين ، وكان بنو إسرائيل في حاله حرب دائمة مع الفلسطينيين – لذا قالوا في التوراة (ملعون كنعان) وقالوا أيضاً : مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبد ا لهم .. وكتبة التوراة من أبناء سام .

وهذا نبي الله لوط عليه السلام لوثته أسفار التوراة ورمته بالزنا مع ابنتيه ....

---

(١) إصحاح ٣٥ / ٢-٣ .

(٢) إصحاح : ٦ : ٥-٧ .

(٣)انظر سفر التكوين إصحاح ٨ : ٢٠-٢٢ .

تري مع من أيها القارىء ؟

والقصة تبدأ من بعد أن أمطر الله النار والكبريت علي سدوم وعموره وذلك لأفعالهم النجسة القذرة وخرج لوط مع ابنتيه وسكن الجبل وما كان من ابنتي لوط إلا أن فكرنا في إنجاب الأطفال من أبيهما ، لأن الجبل موحش ، فسقياه خمرا حتي غاب عن الوعي ، وضاجعناه ، وانجبتا منه ذكرين ..

وإليك نص التوراة فيقول سفر التكوين : " وصعد لوط من صوغر .. وسكن في الجبل وابنتاه معه .. لأنه خاف أن يسكن صوغر ، فسكن في المغارة هو وابنتاه ، وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض ، رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض .. هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ... ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه (مؤاب) وهو أبو الموابيين اليوم ، والصغيرة ولدت ابنا ودعت اسمه (ابن عمي) وهو أبو بني عمون إلي اليوم)(١) .

تري أيها القارئ أهذا يليق بنبتي الله تعالي نوح ولوط عليهما السلام وغيرهما من أنبياء الله تعالي ورسله الذين ورد ذكرهم في أسفار التوراة والتي وصفتهم بصفات لايمكن بأي حال من الأحوال لا من قريب أو بعيد أن يوصفوا بها ، ولكن هذه خرافات من خرافات التوراة التي كتبها أحبار بني إسرائيل ، وقالوا إنها من عند الله تعالي ، فهل في شريعة الله وعقيدته مثل هذه الترهات وتلك الخزعبلات .

إن بعض هذه الخرافات لا تجوز إلا في عبادة وثنية ، بل أن بعض العبادات الوثنية أرحم كثيراً وأكثر تعقلاً من شريعة بني إسرائيل وعقيدتهم .

فهل في أي ديانة وثنية يقولون إن إلههم ندم وحزن ؟ ثم عاد وندم مرة أخري لأنه ندم أولاً ؟

هل عند الوثنيين إله يبكي ؟ هل عند الوثنيين إله يحب الشواء ؟

هل الوثنيون يصفون زعماءهم بصفات تقل من قدرهم كما فعل بنو إسرائيل مع أنبياء الله عز وجل ؟

أفي شريعة الله تعالي يشرب الأنبياء الخمر ومن هؤلاء نوح .. ولوط عليهما السلام .

أفي شريعة الله تعالي يزني الأنبياء ببناتهم ومن هؤلاء لوط عليه السلام

أفي شريعة الله تعالي يتنازل الأنبياء عن أزواجهم للكفرة والمشركين .. ومن هؤلاء إبراهيم وإسحاق اللهم إلا في شريعة بني إسرائيل .

أبعد هذا كله يمكن أن تكون التوراة الحالية كلمة الله ؟

أبعد هذا كله يمكن أن يكون للتوراة الحالية صفة القداسة ؟

لاشك أن التوراة الحالية ليست هي كلمة الله ، وبالتالي فإنها كتاب غير موثوق فيه البتة .

وإننا قد توصلنا إلي هذه النتيجة دون أي افتئات علي القوم ، وإنما ما استندنا إليه في دراستنا هذه من خلال ما نطقت به أسفار التوراة ، وما أقر علماؤهم وباحثوهم .

نسأل الله تعالي أن نكون قد وفقنا فيما نصبوا إليه من دراستنا هذه وهو وضوح الحق وجلاؤه ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .....

أ . د/ حسين محمد عبد المطلب . عميد الكلية

---

(١) الإصحاح ١٩ : ٣٠- ٣٨ .